خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

يوم ٢٢- ٠٨ -٢٠٠٨

في "منهايم" بألمانيا

❁❁❁❁❁❁

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾. (آمين)

تبدأ اليوم بفضل الله ﷻ مع خطبتي هذه الجلسةُ السنوية للجماعة الإسلامية الأحمدية في ألمانيا، ونعقد الجلسات السنوية هذا العام باهتمام خاص شكرا لله على مرور مائة عام على قيام الخلافة الإسلامية الأحمدية.

ولا شك أن الجلسات الماضية أيضا كانت تعقد باهتمام بالغ، ولكن هذه المرة يعير أفراد الجماعة الإسلامية الأحمدية الجلسةَ اهتماما بشكل ملحوظ؛ لذا يلاحظ في كل بلد التوسع في الجلسة والترتيبات والاستعدادات لها وزيادة عدد المشاركين. وبما أنني شاركت شخصيا في عدد من الجلسات في هذا العام لكونها تعقد في عام اليوبيل المئوي للخلافة الإسلامية الأحمدية، لهذا فإن القائمين على نظام الجلسة هنا في ألمانيا منتبهون ألا تكون الجلسة الألمانية أقل شأنا من بقية الجلسات في أي مجال، ولا سيما جلسة غانا المتميزة – من بين الجلسات الأفريقية – كانت قد نالت إعجاب الناس بشكل خاص. وبفضل الله تعالى هذه هي الجلسة السابعة التي شاركت فيها شخصيا خلال هذا العام في مختلف البلاد. إن الجلسة في ألمانيا تعقد بنجاح ملحوظ كل سنة بفضل الله ﷻ وأتوقع أنها ستكون هذه المرة ناجحة أكثر من ذي قبل بإذن الله. وكل من يشارك في الجلسة إذا أدرك روحها ومغزاها فسوف يستفيض منها على الصعيد الشخصي وسيتسبب في إحراز النجاح على الصعيد الجماعي أيضا. يجب أن يضع كل واحد منكم – رجالا ونساء وصغارا وشبابا – الهدفَ من حضوركم هنا نصبَ أعينكم دوما؟ وقد بيَّن لنا سيدنا المسيح الموعود عليه السلام هذا الهدف. وشرح حضرته للذين ينضمون إلى جماعته الهدف الأساسي الذي بسببه يعدّ أحد من أفراد الجماعة الإسلامية

الأحمدية، أو بعبارة أخرى يُخبر كل من ينضم إلى الجماعة عن هذا الهدف السامي. فقد قال حضرته عليه السلام: "ليتضحْ لجميع المخلصين الداخلين في جماعة المبايعين أن الغرض من البيعة هو أن يفتر عند المرء حب الدنيا ويستولي على قلبه حب مولاه سبحانه وتعالى ورسوله الكريم ﷺ."

فأول ما يجب أن يتذكره كل أحمدي دوما هو أن سيدنا المسيح الموعود عليه السلام قد لقب المنضمين إلى جماعته بلقب جميل بكلمة: "المخلصين"، أي المحبون بإخلاص لا تشوبه شائبة، والذين صداقتهم خلوٌ من الطمع في المصالح الشخصية، والذين تكون علاقاتهم مبنية على الإخلاص والوفاء دون أي رياء. ومن معاني الإخلاص الزبدةُ التي تُفصَل عن القِشدة. فينبغي علينا أن نسعى جاهدين للفوز بهذه المكانة المرموقة التي أعطانا إياها سيدنا المسيح الموعود عليه السلام أو توقع منا أن نحرزها. إن الصفات التي ذكرها الله تعالى للمؤمنين لو جعلناها نصب أعيننا دوما لأصبحنا من أولئك الذين يفتر لديهم حب الدنيا، ولا يكنُّون في قلوبهم حبًّا لأحد سوى الله ورسوله. يذكر الله تعالى قصة يوسف عليه السلام حين دعته المرأة إلى السوء ولكنه استعصم بسبب خشيته لله ومعرفته الصادقة بذات الله تعالى، فيقول تعالى عنه: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾(يوسف ٢٥) أي أنه كان من عبادنا الأطهار الأبرار وبفضل طهارته نجا من اقتراف السيئة. وإذا كان الإنسان يخاف الله تعالى حقًّا فإن هذا الخوف والطهارة ينجيه من السوء.

ثم حين قال الشيطان لله متحديا: ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (الحجر ٤٠-٤١) فمن خلال قوله هذا قد اعترف الشيطان بهزيمته في أحد المواقف حين قال: ﴿إِلا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ أي الذين حبهم خالص لك ولرسلك وفي هذا العصر للنبي ﷺ. وإن الذين قد أخلصوا حبهم لله ورسوله فليس لي سلطان عليهم. الذين بايعوا إمام الزمن بإخلاص واضعين جميع شروط البيعة أمامهم وعازمين على أنهم سوف يحاولون العمل بها دائما، يقول عنهم الشيطان: لن تكون لي السيطرة عليهم فمهما زيَّنتُ لهم الدنيا وأغويتُهم وأغريتُهم فإنهم لن يقعوا في شراكي. ثم في موضع من القرآن الكريم ذكر الكفار الذين يقولون: ﴿أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ * بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الصافات ٣٧-٣٨) أي إن رسول الله ﷺ رسول صادق، وليس صادقا في حد ذاته فحسب بل إن صدق الرسل السابقين أيضا يتبين في هذا الزمن بواسطته هو ﷺ. ولقد قال سيدنا المسيح الموعود عليه السلام ما مفاده: لو لم يبعث سيدنا رسول الله ﷺ لما ثبت لنا صدق الرسل الذين خلوا من قبله، لأن أتباع هؤلاء الرسل قد رسموا لرسلهم صورا عجيبة وغريبة. على كل حال يقول الله تعالى يأيها الذين كفروا بهذا الرسول العظيم الحق اسمعوا: ﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الأَلِيمِ﴾ (الصافات ٣٩).

ولن يحظى بالنجاة إلا من آمن بهذا الرسول الكريم ﷺ بإخلاص. ثم يقول الله تعالى في ذكر أنبياء الأمم السابقة أننا بسبب ضلال تلك الأمم أصبناهم بعذاب في الحياة الدنيا إلا عباد الله منهم المخلَصين. وبضرب هذا المثل بيَّن الله للمسلمين وغيرهم أن القرآن الكريم شريعة دائمة وتعليمه خالدٌ إلى الأبد. فهل يمكن أن تنجوا بعد إنكاركم النبي ﷺ وخادمه الصادق والمخلص؟ كلا! لن تنالوا النجاة أبدا! فمن فضل الله علينا نحن الأحمديين أنه أكرمنا بنعمة إذ وفقنا للإيمان بإمام هذا العصر والانضمام إلى جماعته المباركة. والآن يتحتّم علينا أن نقدّر هذا الإنعام. ثم يقول الله ﷻ في بيان كبريائه أنه منـــزَّه عما يَنسب إليه غيرُ المؤمنين به، ولن يكون في نصيبهم إلا خسارة ومآلهم جهنم. وأما الذين يعبدون الله مخلصين فهم المفلحون.

كثُرَ في بلاد أوروبية في العصر الراهن عددُ الملحدين الذين يكفرون بوجود الله وألوهيته. ولقد بدأت تُطلّ برأسها النظريات المختلفة حول وجود الله وعدمه. لكن الله تعالى قد أخبر أن مصير هؤلاء الذين لا يوقنون بالله سيء. أما الفلاح والنجاح فمن نصيب الذين هم عباد الله المخلصون. فتذكروا دائما أنه لا يليق بكم أن تذكروا الله عندما تتعرضون للكوارث والمشاكل فقط وتنسوه في الظروف العادية. فمن مقتضى تلك الإنعامات الكثيرة التي أنزلها الله علينا نحن الأحمديين أن نذكر الله تعالى في

كل حين وآن. وحيثما سنحت للأحمديين فرصة لبيان صفات الله وإثبات وجوده للدنيا فيجب أن يكونوا مستعدين لذلك دائما.

فحين نصح سيدنا المسيح الموعود عليه السلام أن يجعل المبايعين المخلصين له حبَّ الله ورسوله غالبًا على كل نوع من الحب، فقد لفت أيضا انتباهنا إلى التجنب من كل سيئة في الدنيا. فقال يجب أن تنتبهوا كل حين وآن إلى ألا يتولد فيكم أي نوع من السيئة.

ففي هذا الزمن يجب أن نبذل الجهود لأن تتحقق فينا آمالُ المحب الصادق للنبي ﷺ، كما يجب أن نسعى لاستجابة أوامر الله تعالى والعمل بسنة رسوله ﷺ، ولا بد من الاهتمام لمعرفتها واستيعابها حتى نتمكن من العمل بها، كما لا بد من الالتفات إلى رفع مستوياتنا الدينية والروحانية وعبادة الله سائرين على دروب التقوى. عندئذ ستكون بيعتنا لسيدنا المسيح الموعود عليه السلام خالية من المصالح الشخصية الدنيوية المادية، وعندئذ يكون كل واحد منا عضوا نافعا للجماعة. قال الله تعالى في القرآن الكريم في حق هؤلاء الناس: ﴿عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ لأنهم يحبون الله حبا خالصا كما يحبون رسول الله بإخلاص لأن رسول الله ﷺ هو الإنسان الوحيد الذي كان شعاره ودثاره ونومه ويقظته من أجل الله فقط، والذي قال الله له أن يعلن: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ (آل عمران ٣٢)

فإن حبنا للنبي ﷺ لا يزيدنا حبًّا لله فحسب بل يؤدي أيضا إلى العفو عما تقدم من ذنوبنا ويحمينا من اقترافها في المستقبل.

عندما أسس سيدنا المسيح الموعود عليه السلام الجلسة السنوية أعلن عندها أنها مبنية على حب خالص لله ورسوله.

فقد قال: "أرى أن يجتمع الناس لثلاثة أيام في السنة ويأتوا من أجل الله فحسب وللاستماع إلى الأمور الربانية." ثم دعا أفراد الجماعة وحثهم على المشاركة في الجلسة قدر المستطاع.

فهذا الأمر يجب أن يكون حافزا لأولئك الذين يسمون أنفسهم أحمديين – الذين دعاهم سيدنا المسيح الموعود عليه السلام باسم المخلصين – للمشاركة في الجلسة، لأنها هي الأخرى تتسبب في زيادة الإخلاص لأن الحضور هنا لا يكون بدافع أي إغراء دنيوي وإنما يكون حرصا في نيل حب الله ورسوله وبدافع حب الله ورسوله. فيجب أن يضع كل أحمدي هذا الهدف أمام عينيه عند المجيء إلى هنا. وإلا فقد كتب سيدنا المسيح الموعود عليه السلام في موضع آخر أنه إذا كان حب الإنسان لله ورسوله لا يبعثه على أداء حقوق الله وحقوق العباد فليس ذلك الحب خالصا. ومن كان حبه غير خالص فلا يُعَدُّ من زمرة المخلصين. يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام: ما لي بأولئك الذين لا يقبلون الامتثال لجميع الأحكام بصدق القلب ولا يضعون رقبتهم تحت نير طاعة النبي ﷺ بكل إخلاص،

ولا يتخذون طريق الصدق والسداد منهجا لهم، ولا يريدون التخلي عن عادات الفسق، ولا يهجرون مجالس السخرية والاستهزاء، ولا يتركون أفكارا سيئة، ولا يتحلون بالمواساة الإنسانية ودماثة الأخلاق والصبر والرفق، ويؤذون الفقراء ويطردون المتواضعين، ويمشون في الأسواق متبجحين ويجلسون على الكراسي بالغطرسة ويستكبرون. فطوبى لأولئك الذين يعتبرون أنفسهم أذل الناس وأصغرهم، ويتكلمون بحياء، ويقابلون المتواضعين بأدب واحترام، ولا يسخرون من أحد بدافع الشر والتكبر أبدا، ويذكرون ربهم الكريم، فإنني أقول مرارا وتكرارا إن هؤلاء هم الذين قُدِّرتْ لهم النجاة."

فهذه هي النصائح التي أسداها لنا سيدنا المسيح الموعود عليه السلام بمنتهى الألم والحرقة، وهذه هي الأمور التي بالعمل بها سنُعَدُّ من أولئك المخلصين الذين يحبون الله ورسوله والذين يحققون الهدف من المشاركة في الجلسة. وإلا فقد أعلن حضرته عليه السلام بصراحة أن الجلسة ليست مهرجانا دنيويا. اليوم اجتمعتم هنا لجلسة متميزة لكونها تعقد في عام اليوبيل للخلافة، وهي تُذكِّرنا نعمة الله الجليلة، ولن نتمكن من أداء الشكر لله حقيقةً إلا إذا حاولنا إحداث تغير طاهر في نفوسنا، وتأسّينا بأسوة النبي ﷺ للفوز بحب الله تعالى الأمر الذي أوصى به الله تعالى عباده المخلصين. لقد ترك لنا رسول الله ﷺ في كل مجالات الحياة أسوة حسنة، وشرح لنا كل

الأمور، ونصحَنا قائلا أنكم إذا علمتم بهذه الأمور فسوف تنالون حب الله تعالى. إن جميع أحكام القرآن الكريم تشكل أسوة النبي ﷺ. لقد سأل أحدهم أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها أن تخبره عن أخلاق رسول الله ﷺ فقالت: أولم تقرأ القرآن الكريم، فكل حكم من أحكام القرآن الكريم طبَّقه رسول الله على نفسه أولا ثم نصح به أمته.

وقد قال لنا رسول الله ﷺ إنكم إذا عملتم بهذه الأمور فسوف ترسخون بذلك حب الله تعالى في قلوبكم، كما ستكونون صادقين في دعواكم بحبي. وكما بينت فيما سبق أن الله تعالى قد أعلن للناس أنه إذا كنتم تحبونني فاستجيبوا لجميع أوامر هذا النبي ﷺ ولا بد لكم من العمل بكل نصائحه. بل قد قال الله تعالى إنكم إذا كنتم تريدون أن تستجاب دعواتكم فتعالوا إليّ مصلّين على النبي ﷺ لكن صلاتكم يجب أن تنبعث من صميم فؤادكم بدافع الحب الحقيقي والعشق الكامل. لقد قال الله تعالى في القرآن الكريم ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(الأحزاب ٥٧) وقد وضح سيدنا المسيح الموعود عليه السلام هذه الآية على النحو التالي: إن الله وجميع ملائكته يصلون على هذا النبي الكريم فيا أيها المؤمنون صلوا عليه أنتم أيضا وسلموا بمنتهى الحب والإخلاص. فهذه الصلاةُ والتحيةُ بالإخلاص والحب تُكسبُ الإنسانَ قربَ الله وتمكّنه من رؤية مشاهد استجابة الدعاء

أيضا. ففي أيام الجلسة هذه كما ستهتمون بالصلاة والدعاء كذلك يجب أن تداوموا على الصلاة على النبي ﷺ بالإخلاص لكي يستجيب الله تعالى أدعيتنا، ويحسن من حالتنا، ويجعلنا عباده المخلصين، ويوفقنا لأن تلهج ألسنتنا بذكر الله وللتأسي بأسوة رسول الله ﷺ وأداء حقوق العباد، ولتجنب السيئات التي أكد المسيح الموعود عليه السلام على تجنبها. إن النبي ﷺ كان عبدا كاملا لله تعالى وقد سجل لعبادته نماذج سامية منقطعة النظير. فأحيانا نجده مستغرقا في عبادة الله تعالى في أماكن منعزلة، على سبيل المثال عندما لم تجده إحدى زوجاته في ليلة من الليالي على سريره فشكّت أن يكون قد ذهب إلى زوجة أخرى. ولكنها عندما وجدته بعد بحث طويل ندمت على تفكيرها السابق أنها كيف توقعت ذلك نتيجة خواطرها الدنيوية ولم تستطع أن تدرك مقامه. فلقد وجدتْه ساجدا أمام ربه في منتهى التضرع والابتهال. وفي أحيان أخرى يراه أحد متضرعا أمام ربه فيشبّه ضراعته كغلي المرجل. على أية حال إن أسوة هذا العبد الكامل في عبادة ربه كانت أسمى من كل شيء فإنه لم يترك عبادة الله حتى في المرض الشديد. ففي مرضه الأخير الذي توفي فيه ﷺ كان يحضر المسجد في حالة ضعف شديد، وكان يبتسم عندما يرى المؤمنين وعباد الرحمن يصلون ويحققون الهدف الحقيقي من خلق الإنسان. وكان ﷺ يقول: قرة عيني في الصلاة. فهذه هي الأسوة الطيبة التي قدمها النبي ﷺ أمامنا في المداومة

على الصلوات المفروضة وفي النوافل وفي عبادة الله تعالى بشكل عام. لا يمكن لأي أحد أن يصل إلى تلك المرتبة السامية التي نالها النبي ﷺ إذ لم يبلغها سوى إنسان واحد وهو الإنسان الكامل ﷺ، ولأجل ذلك يصلي الله وملائكته على هذا النبي ﷺ. لقد وجّه الله تعالى أنظارنا إلى التأسي بأسوته قائلا: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب: ٢٢).

فلا بد للذاكرين الله – من أن يقتدوا بأسوته ﷺ – الذين يعتبرون أنفسهم عباد الرحمن، والذين بعد انضمامهم إلى جماعة إمام هذا الزمان يعلنون عن حبهم لله ورسوله بكل إخلاص. فمن واجب كل أحمدي أن يسعى جاهدا لرفع مستوى عبادته حتى لا يبقى إعلانهم السابق إعلانا وادعاء فارغا فحسب بل يتحول إلى حقيقة عملية. ففي هذه الأيام ينبغي أن تركزوا على صلواتكم وعباداتكم، وينبغي أن تكون أيام الجلسة هذه مدعاة لتوجيه جميع المشاركين إلى السعي للفوز بحب الله تعالى. يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام:

"تذكروا أن الميل إلى غير الله يعتبر انقطاعا عن ذات الله تعالى. إن الصلاة وإقرار التوحيد مهما بلغ مرتبة عالية – لأن الصلاة عبارة عن إقرار وحدانية الله تعالى بشكل عملي – فإنه يظل خاليا من البركة وعديم الجدوى ما لم يتحل بروح التذلل وإلغاء الذات، وما لم يقم به القلب

الحنيف. اسمعوا وعوا إن الدعاء الذي أُمِرنا به في قوله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر: ٦١) يتطلب روحا صادقة. فإذا كان التضرع والخشوع لا يتحلى بتلك الروح الحقيقية فإنه لا يعدو من أن يكون صراخا أجوف. (تفسير المسيح الموعود عليه السلام، سورة غافر، آية "ادعوني استجب لكم")

ثم يقول حضرته عليه السلام:

لا يمكن أن يعتَبر العبدُ صادقًا ما لم يتخل عن الأفكار الفاسدة والخطط الدنسة، وما لم تتلاش عنده الأنانية والتكبر ويحل محلهما إلغاء الذات والتواضع. إن الصلاة أكبر معلّم للعبودية الصادقة وأفضل ذريعة لتعليمها.

ثم يقول حضرته عليه السلام:

"أخبركم مرة أخرى أنكم إذا كنتم تريدون إنشاء صلة حقيقية وارتباطٍ وثيق مع الله تعالى فأقيموا الصلاة. ليس المراد من إقامة الصلاة أن يصليها جسمكم وظاهركم فحسب بل إنما المراد هو أن تتحول جميع إرادات روحكم وحماسها إلى صلاة متجسدة."

أي يجب ألا تكون الصلاة ظاهرية فحسب بل يجب أن تصليها روحكم."

فهذه هي روح الصلاة التي يريد المسيح الموعود عليه السلام خلقها في جماعته، وإن الصلاة والادعاء بالتوحيد وترديد كلمة لا إله إلا الله غير مجدٍ ولا يمكن أن يحظى بالبركات ما لم يتنـــزه القلب أيضا من جميع أنواع الشرك الخفي، وما لم يتحلّ العبد بالتواضع والتذلل. وإن تأتَّى ذلك فستستجاب

أدعيتكم أيضا لأنه الأمر الأساس الذي يريد الله تعالى منّا الالتزام به، كما قدم النبي ﷺ لنا أسوته الحسنة لإقامة هذه الأمور؛ ثم بعد ذلك سلط المسيح الموعود عليه السلام الضوء على هذا النوع من التواضع والتذلل المطلوب فقال: "يجب أن يكون القلب منـــزها عن جميع أنواع الأهواء والخطط الفاسدة، وألا تشوبه شائبة من التكبر والأنانية. ولا يمكن أن تكون صلواتُكم حقيقيةً، ولن تستجاب أدعيتكم ما لم تكونوا متواضعين في معاملتكم مع الناس أيضا. فإن الذين يعلنون عن تمسكهم بالوحدانية الحقيقية لا يمكن أن يستندوا إلى الدنيا من أجل تحقيق بعض المنافع لهم، أو يغتصبوا حقوق الآخرين، أو يعاملوهم بالتكبر. فقال المسيح الموعود عليه السلام: إن العابد الحقيقي هو من يؤدي حقوق العباد أيضا متأسيا بأسوة النبي ﷺ. فما هي تلك النماذج العليا التي قدمها لنا النبي الكريم ﷺ؟ أقدم لكم بعض الأمثلة منها. لقد ذكرتُ مثال أسوته في عبادة الله تعالى، أما تعامله مع الناس فنرى أن إحدى العجائز الفقيرات أوقفته في الطريق فبدأ بالإصغاء التام إلى حديثها وقال مطَمْئِنًا إياها: لا داعي للقلق فإنني لن أتحرك من هنا إلا إذا سمعتُ كلَّ ما تريدين التحدث به إليّ.

فهكذا كان تواضعه على الرغم من قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ (الأحزاب: ٥٧)، وعلى الرغم من قول الله تعالى له: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ (الفتح: ١١)،

مع كل ذلك قال لصحابته: لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ. قَالُوا: وَلا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟

وانظروا الآن إلى جوابٍ مِلْؤه خشيةُ الله ومخافته والتواضع حيث قَالَ: لا وَلا أَنَا إِلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ. (انظر صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار)

فهذا هو المثال الأسمى للتواضع، وهذا هو إعلان حرب ضد التكبر عندما قال بأن الله تعالى أعطاني ضمانا بأن يدي التي أضعها على أياديكم عند أخذ البيعة هي يد الله، وأن الله وملائكته يصلون عليّ، مع كل هذا أقول لا أدخل الجنة إِلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ.

إنها لقِمّة التواضع. لقد أراد النبي ﷺ أن يفهمنا بهذا المثال أنه إذا كان يقول بأن فضل الله وحده يدخله الجنة، فما بالكم أنتم الذين ترتكبون أنواعا من الشرك الخفي يوميا، ولا تفهمون وحدانية الله تعالى كفهمه ﷺ، ولا تضربون أمثلة سامية في العبادات كما يضربها هو، فأنى لكم – بعد كل هذا – أن تتكبروا على حسناتكم وتتفاخروا على أعمالكم؟ فعليكم بالتواضع لأن فيه بقاءكم، وفيه يكمن سر المحبة مع الله ورسوله. وقال النبي في إحدى المرات: ما عَفَا رَجُلٌ إِلا زَادَهُ اللهُ بِهِ عِزًّا وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله.

فهذه هي الأمور التي يجب على كل أحمدي أن يتمسك بها ويحرز فيها درجات عليا.

تُرفع إلي في هذه الأيام – من هنا ومن جميع أنحاء العالم – قضايا الخصومات بين الزوجين، يكون الرجل مخطئا فيها أحيانا وأحيانا أخرى تكون المرأة مخطئة. لم يعد الرجل يتحلى في هذه الأيام بشيء من التحمّل ولا المرأة. ولقد نبهت الجماعة إلى هذا الأمر مرارا وقلتُ رغم أن الرجل يكون مخطئا في أغلب الأحيان في مثل هذه القضايا ولكن في بعضها تكون المرأة مخطئة بشكل واضح. لا شك أن الأخطاء تصدر من الفريقين فتؤدي إلى توتر العلاقات وتفكيك الحياة الأسرية. فلو حاول الطرفان كبح جماح مشاعرهما، وسعَيَا للالتزام بالتقوى فلا يمكن أن تنشأ مثل هذه القضايا.

لقد أسدى النبي ﷺ النصح إلى مثل هؤلاء حيث قال: إذا كنتم تكرهون من بعضِكم خُلُقًا فترضون آخر، إذ لا يمكن أن يكون أحد مليئا بالعيوب فحسب. فإن نظر الجميع إلى محاسن غيره مع مراعاة التضحية من أجل الطرف الآخر فيمكن أن ينشأ فيما بينكم جوّ التحابب والتواد والتصالح.

لقد قدمت زوجات النبي شهادة على حسن معاملته لهن بأنه لا مثيل له في المعاملة مع زوجاته بالأخلاق الحسنة السامية. فعندما يسدي النبي ﷺ نصيحةً فلا يسديها دون العمل بها أولا بنفسه بل يبرهن عليها من خلال أسوته.

فينبغي أن تحاسبوا أنفسكم في هذه الأيام المتاحة لكم، لأن الإنسان يتأثر بما حوله، كما أن القلوب تتأثر بالمشاهد الروحانية. لذلك يسهل عليكم في مثل هذا الجو الانتباهُ إلى محاسبة أنفسكم. فحاسبوا أنفسكم وصلواتكم وأخلاقَكم، وينبغي ألا تخطر ببال أحدكم فكرة هضم حقوق الآخرين. تذكروا دوما أنه لا يمكن أن تظهر من أحدكم الأخلاق الأساسية التي من واجبه أن يبديها في محيطه ما لم تكن في قلبه خشية الله، وما لم يتخلّ قلبه من جميع أنواع التكبر والأنانية. فمن حصلَ له ذلك فقد أُنقِذ من جميع السيئات، وبالتالي يكون مثل هذا الأحمدي قد وصل إلى ذلك المستوى الذي يريد المسيح الموعود عليه السلام إيصالنا إليه، ومثل هذا الإنسان يصبح محبًّا صادقا لله ورسوله.

ففي هذه الأيام التي اجتمعتم فيها هنا لله تعالى فحسب، وتدّعون أنكم اجتمعتم لله، فلا بد لكم أن تضعوا هذا الهدف نصب أعينكم وتذكّروا أنفسكم بهذه الأمور مرة بعد أخرى، واعلموا أن الطريق الأمثل لإصلاح النفس هو أن تقيموا وازعًا مزكّيًا من داخلها. يجب أن تستمعوا إلى خطابات الجلسة واحضروا جميع برامجها، فسوف تُلقى خطابات ومقالات علمية وتربوية بمناسبة اليوبيل المئوي للخلافة. بارك الله تعالى في لسان جميع الخطباء وعِلمِهم حتى يتمكنوا من تقديم مقالاتهم وخطاباتهم بأحسن وجه، ووفّق المستمعين أيضا أن لا يتمتعوا بهذه الخطابات من الناحية

العلمية والفكرية فحسب بل يستمدوا منها فيضا روحانيًا أيضا ويجعلوها جزءا من حياتهم.

يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام:

ليس السعيد من ينال ثروة مادية ثم يتعرض من جرائها لألوف من المصائب والآفات، بل السعيد من يفوز بثروة الإيمان فيخشى سخط الله وغضبه، ويسعى على الدوام للتجنب من هجمات نفسه وهجمات الشيطان، لأنه هكذا سوف ينال رضا الله تعالى. ولكن تذكروا أن بلوغ هذه الحالة ليس هينا بل من الضروري لكم أن تكثروا من الأدعية في صلواتكم لهذا الغرض حتى يرضى الله تعالى عنكم، فيوفقكم للتخلص من الحياة الملوثة بالذنوب، لأنه لا يمكن لأحد التخلص من الذنوب ما لم يوفقه الله بفضله. ولا يمكن أن يتأتّى هذا الفضل والتوفيق إلا بالدعاء. لذلك فعليكم بالدعاء في صلواتكم قائلين: اللهم جنِّبنا من جميع تلك الأعمال التي تُعتبر ذنوبا والتي تعارض رضاك وهُداك، وأنقِذْنا من كل نوع من الألم والمصيبة والبلاء الناتج عن هذه الذنوب، وثَبِّتْنا على الإيمان الصادق.

ثم بيّن حضرته عليه السلام أنواع الذنوب فقال:

"إن كثيرا من الذنوب تقع في عداد الذنوب الخُلُقية، مثل الغضب والثورة والرياء والكبر والحسد وغيرها، فكل هذه الأعمال تعدُّ من سوء الأخلاق

وتوصل صاحبها إلى جهنم. لذا يجب ألا يغـرّنكم أنكـم لا ترتكبـون الكبائر، بل الحق أن كل نوع من سوء الخُلق – مهما بـدا بـسيطا في الظاهر – يُعتبر ذنبا.

(لذا فقد أمر سيدنا المسيح الموعود عليه السلام باجتنابه. ولا يكفـي للمـؤمن اجتناب الذنوب فحسب بل عليه أن يسبق في الخيرات والحسنات أيـضا كما يأمره القرآن الكريم)

يتابع حضرته عليه السلام ويقول:

"على الإنسان أن يتجنب الذنوب ويكسب الحسنات ويعبد الله ويطيعه، ولو عَبَد اللهَ وأطاعه لَمُلئ قلبُه بركةً."

هذا ما نصحنا المسيح الموعود عليه السلام، ولو تم تنفيذه كما يجـب لتحقـق الهدف من خلق الإنسان، وهو أن يعبد الله ويطيعه ونتيجة لذلك سـوف يمتلئ قلبه بالبركات. ندعو الله تعالى أن يوفق كل واحد من المشتركين في هذه الجلسة لتحقيق هذا الهدف النبيل، وأن ينال حظا وافرا من أمطـار الأفضال الغزيرة النازلة على الجماعة، ويحظى ببركات النجاحات المتتالية التي سوف تحرزها الجماعة حسب وعد الله تعالى لسيدنا المسيح الموعـود عليه السلام. كما ندعوه عزّ وجلّ أن يوفق جميع الأحمديين للأدعية وبذل الجهود في هذا السبيل أثناء أيام الجلسة.

في بداية الخطبة ضربت مثلا لجلسة الجماعة في غانا، ففي هذا الصدد أريد أن أوجه أنظار السيدات بوجه خاص إلى أمر مهم، وهو أنني في العام الماضي كنت قد وضعت حظرا على جلستهن هنا بسبب الضجيج المرتفع من خيمتهن أثناء الجلسة. ثم جاءتني منهن رسائل كثيرة محتوية على المعذرة وطلب العفو على ما صدر منهن. فبناء على كثرة رسائلهن وطلبهن العفو، ونظرا إلى أهمية جلسة هذه السنة سمحت لهن بعقد جلستهن. ولكني أقول مخاطبا إياهن: يجب أن تتذكرن جيدا أنكن قد وعدتن بالإصغاء إلى برامج الجلسة والخطب الملقاة فيها بكل هدوء وصمت، وعليكن أن تفين بهذا الوعد. لقد اتعظت عضوات "لجنة إماء الله" في مختلف بلاد العالم بلجنة إماء الله في ألمانيا واشتركن في جلساتهن وسمعن البرامج بكل إصغاء وهدوء وصمت. والآن من واجبكن أن تفين بهذا الوعد بجميع مقتضياته.

كنت أذكر جلسة الجماعة في غانا، فقد اشتركتْ فيها حوالي خمسين ألف سيدة، كما أن عدد اللواتي كنَّ يحضرن صلاة الفجر كان ما بين ٢٥٠٠٠ و ٣٠٠٠٠ امرأة. وكانت بعضهن يأتين بالأولاد أيضا، ولكن لم يُسمع من قِبلهن أي صراخ أو ضجيج على الإطلاق. لقد سمعن جميع البرامج بكل هدوء وصمت رغم طقس حار جدا، ورغم عدم وجود مكان منفصل للصغار. ولم يحدث أي ضجيج مطلقا في أوقات الصلاة

وأثناء الخطبة والخطب الأخرى الملقاة في الجلسة أيضا. فلو ظلت الأقوام الحديثة العهد بالأحمدية تقدم مثل هذه الأمثال الرائعة فإنها ستسبقكم حتما، ولها الحق في هذه الحالة أن تسبق.

وددت أن أوجه أنظار السيدات إلى هذا الأمر.

كنت أستطيع أن أقول ذلك في أثناء خطابي لهن غدا أيضا، ولكن أجببت أن أذكِّرهن الآن قبل يوم ونصف يسبق خطابي لهن، خشية أنهن قد ينسين وعدهن فيبدأنَ بالضجيج في الجلسة.

فيجب أن تتذكرن جيدا أنه لا بد أن تستمعن جميع البرامج والخطب بكل هدوء وصمت ومثابرة. ثم يجب ألا يقتصر الأمر على السماع فقط بل ينبغي العمل بها أيضا. عندها فقط تقدرن على إيفاء العهد الذي قطعتن بمناسبة يوبيل الخلافة وتكُنَّ محققات الهدف من الجلسات التي تُعقد بهذه المناسبة وتنالين البركات منها.

فليتذكر الجميع رجالا ونساء أنه لا بد لكم من أن تكونوا عباد الله المخلصين وتطيعوا جميع أوامره ﷻ. فعليكم أن تبذلوا قصارى جهودكم في هذا السبيل وترفعوا مستوياتكم في هذا الصدد باستمرار. ندعو الله تعالى أن يوفقكم جميعا لذلك، آمين.